الإستعداد لرمضان

د/ علي جمعة

مفتي الديار المصرية

إعداد

مركز
الدراسات
المنهجية والمعرفية

هدية مجانية غير مخصصة للبيع

مقدمة

قَرَعَ أبوابَنا ضيفٌ كريمٌ، ضيفٌ جاء ليُكْرِمَنَا على عكس الحال المعتاد، فإن الضيف ينتظر أن يُكْرِمَه أَهْلُ الدَّار، إلا أنَّ هذا الضيفَ لا ينتظر مِنَّا إكرامًا ولكن الله عز وجل جعله سببًا في الإكرام والغفران، والعتق من النيران.

هذا الضيف هو الشهر الفضيل، شهر رمضان المبارك، فهلموا عباد الله لاغتنام هذا الموسم الرابح، للتعرض لتلك النفحات الإلهية الطيبة، يقول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها؛ لعل أحدكم أن يصيبه منها نفحة لا يشقى بعدها»[1] وعن أبي الدرداء - رضي الله تعالى عنه - أنه قال: «التمسوا الخير دهركم كلَّه، وتعرَّضوا لنفحات رحمة الله؛ فإنَّ لله نفحات من رحمته يُصيبُ بها مَنْ يشاءُ من عباده، واسألوا الله أن يستر عوراتكم، ويؤمن روعاتكم»[2].

رمضان شهر يُهَيِّئُ الله فيه للعبد جَوَّ العبادة، فصَحَّ عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفِّدَت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣٣/١٩، ب برقم: ٥١٩) ط مكتبة العلوم والحكم، والأوسط (١٨٠/٣، ب برقم: ٢٨٥٦) و (٢٢١/٦-٢٢٢، ب برقم: ٦٢٤٣) ط دار الحرمين.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١١/٧ ب برقم: (٣٤٥٩٤) ط المكتب الإسلامي، وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٥٠/١ ب برقم: ٧٢٠) وفي أوله: " افعلوا ". ط مكتبة العلوم والحكم

باغي الشر أقصِر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة»[1].

وقد كان سلفنا الصالح يَنْشَغِلُ برمضان طوال السنة، مِنْ ذلك ما وردَ عَنْ مُعَلَّى بن الفضل أنه قال: «كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يُبَلِّغهم رمضان، ثم يدعون ستة أشهر أن يَتَقَبَّلَ منهم».

وقال يحيى بن أبي كثير: «كان من دعائهم: اللهم سَلِّمْني إلى رمضان، وسَلِّمْ لي رمضان، وتَسَلَّمْه مِنِّي متقبَّلاً».

الاستعداد لاستقبال شهر رمضان

يمكننا أن نستعدَّ لاستقبال شهر رمضان بعدة أمور، منها: تنظيم اليوم، والرجوع إلى تقسيمه إلى يوم وليلة، ومنها التدريب على الصيام، والتلاوة، والذكر، والقيام وغير ذلك من العبادات والطاعات.

* أما شأن النظام اليومي: فشهر رمضان يعود بالمسلم إلى التوقيت الموافق للشرع الشريف، وإلى التقويم السليم لمعايشة اليوم والليلة، إلا أننا لا نشعر بذلك، بل ربما نشعر بالعكس؛ لأننا نعيش أحد عشر شهرًا على أن اليوم والليلة وحدة واحدة تساوي: ٢٤ ساعة، وأن تلك الوحدة تنتهي في الساعة الـ١٢ حتى أن الساعات بعد ذلك تعتبر في صباح اليوم الجديد، رغم أن الليل ما زال يُخَيِّمُ علينا.

ولقد كانت ساعاتنا ساعات غروبية تَتَّسِقُ مع العبادة، وتَنْضَبطُ الساعة مع أذان المغرب على

---

(١) أخرجه الترمذي (٣/٦٦ ب برقم: ٦٨٢) ط دار إحياء التراث العربي، وأخرجه الحاكم (١/٨٢ ب برقم: ١٥٣٢) ط دار الكتب العلمية.

الساعة الـ١٢، فنعرف الساعة الأولى من الليل، والساعة الثانية والساعة الثالثة وهكذا، فعندما نقرأ الحديث الذي رواه الإمام البخاري: «أن من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة، فكأنما قرب كبشا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»[١] تجد الناس وقد فهمته، لأنهم يعرفون ما الساعة الأولى، وما الساعة الثانية.

ثم اختلف الحال فأصبحت الساعة (١٢) هي وسط النهار، ومن المعلوم أن اليوم ليس (٢٤) ساعة تمامًا، بل يختلف باختلاف الأيام في السنة، فهو بين ٢٤ ساعة و١٧ دقيقة، و٢٤ ساعة إلا ١٧ دقيقة، لأجل هذه الـ (٣٤) دقيقة يختلف آذان الظهر عندنا الآن، فنجده يؤذن مرة ١١,٣٥، ومرة ١٢,٠٧؛ لأن هذه المساحة من الوقت هي التي يختلف فيها اليوم واقعيًا على مَرِّ السنة.

كان المسلمون يُكَيِّفُون أنفسهم ومعيشتهم بطريقة تجعل العبادة سهلة، وتجعل هذه الشعائر التي يقيمونها تنطبقُ تمامًا مع النظام اليومي الذي يعيشونه، فلم يكن هناك نوع تنافر ولا اضطراب، ولا ضيق، ولا فوات للصلاة؛ كانوا ينامون بعد العشاء ويستيقظون قبل الفجر، كانوا يدركون ما معنى ثلث الليل الأخير الذي يستجيب الله فيه الدعاء، كان هناك تفاعل مع هذا الدِّين.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١/١ ب برقم: ٨٤١) ط دار ابن كثير اليمامة، وأخرجه مسلم (٥٨٣/٢ ب برقم: ٨٥٠) ط دار إحياء التراث العربي.

هذا عرض بسيط لا نقف عنده طويلا، لكن هذه اللحظة فارقة في تاريخنا، وبعد هذه اللحظة اختفت معالم اليوم الذي كان يتناسب مع فهم النصوص الشرعية ومُسَايَرَةِ الحضارة الإسلامية.

ورغم اختفاء معالم التوقيت الذي كان يتناسب مع العبادات وفهم النصوص الشرعية إلا أن تلك المعالم تعود في رمضان حيث يفرض نفسه طوال الشهر ممَّا يَشْعُرُ معه المسلمون في أنحاء الأرض بارتباك شديد، وزلزال عنيف في نظام نومهم ويَقَظَتِهم، وعملهم وراحتهم.

فرمضان لا يَقْلِبُ الأمورَ بلْ يَعْدِلها، لذا فأوَّل ما يستعدُّ به المسلم لاستقبال شهر رمضان هو أنْ يُحَاولَ أن يعيش نظام اليوم الرمضاني قبله، وذلك لا يتأتى إلا بالصوم والسحور؛ ففيهما العَوْنُ على ذلك.

والجهاز العصبي للإنسان لا يمكنه أن ينتقلَ في لحظة من حال إلى حال، وإنما ينبغي التدريب شيئًا فشيئًا؛ حتى ينتقل من نظامه الذي اعتاد عليه من نوم ونشاط وفتور، إلى النظام الآخر الذي سيُقْدِمُ عليه، وكثير من المسلمين يحاولون مُسَايرَةَ رمضان في أول أيامه بسبب الدَّفْعَةِ الإيمانيَّةِ ثم سرعان ما يتنافرون مع نظام اليوم الرمضاني، وذلك لأنهم لم يَسْتَعِدُّوا بالشكل الصحيح لذلك الشهر.

ولعل اتباع هَدْيَ النبيِّ -صلى الله عليه وآله وسلم- بالإكْثار من الصيام في شهر شعبان يُيَسِّرُ على المسلم مهمة الصيام في شهر رمضان، ولا يشعر بعناء في تلك العبادة العظيمة، وذلك لأن شعبان شهر يتناسب في المناخ وطول النهار وقِصَره مع شهر رمضان لأنه الشهر الذي يسبقه مباشرة، فالتعوُّد على الصوم فيه يُيَسِّرُ على المسلم ذلك.

* أمر آخر للاستعداد لاستقبال الشهر المعظم، وهو القرآن الكريم ومدارسته وتلاوته ومحاولة خَتْم المصحف في شهر شعبان، وذلك لتيسير قراءته وختمه في شهر رمضان، فقراءة القرآن عبادة نَيِّرَة، تُعِينُ المسلم على باقي العبادات في شهر رمضان وغيره، وهي تُنِيرُ قلبَ المسلم وتَشْرَحُ صَدْرَه، فلا ينْبغي للمسلم أن يتركها طول السنة ويَقْصُرَها على رمضان، إلا أنه يزيد منها فيه لاستغلال هذه الدَّفعة الإيمانية والنفحة الربَّانِيَّة.

* صلاة القيام أيضا من الأمور التي ينبغي للمسلم أن يُعَوِّدَ نفسَه عليها حتى يتمكَّن مِنْ فِعْلِه في رمضان بغير عناء وشقاء، وقيام الليل ليس عبادة خاصة بشهر رمضان وحده، إلا أنها تشرع في رمضان في جماعة ويُعَانُ فيها المسلم على الخير، وتكون لها كيفيَّة خاصَّة.

وبمناسبة "القيام" نريد أن نُنبِّهَ على ما نعيشُه من نزاع سنوي في شهر رمضان المبارك بين بعض المُتشدِّدين الذين يريدون حَمْلَ الناس على مذهبهم، وبين العوام ، وسبب هذا النزاع مسألة «عدد ركعات صلاة التراويح» إذ يقولون: «لا يجوز الزيادة عن ثماني ركعات في صلاة التراويح» فينكرون على العوام أيَّمَا إنكار، ويتَّهمونهم بالابتداع إذ يصلون التراويح عشرين ركعة,

والحق أن الأمة أجمعت على أن صلاة التراويح عشرين ركعة من غير الوتر، وثلاث وعشرين ركعة بالوتر، وهو معتمد المذاهب الفقهية الأربعة: الحنفية، والمالكية في المشهور، والشافعية، والحنابلة، وهناك قول نُقِلَ عن المالكية خلاف المشهور أنها ست وثلاثين ركعة، ولم تعرف الأمة القول بأن صلاة التروايح ثماني ركعات إلا في هذا الزمن، وسبب وقوعهم في

تلك المخالفة الفهم الخاطئ للسنة النبوية، وعدم قدرتهم على الجمع بين الأحاديث، وعدم التفاتهم إلى الإجماع القولي والفعلي مِنْ لدُن الصحابة إلى يومنا هذا، فاستشهدوا بحديث عائشة - رضي الله تعالى عنها - حيث قالت: «ما كان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يُصَلِّي أربعًا فلا تَسَلْ عن حُسْنِهِنَّ وطولهن، ثم يُصَلِّي أربعًا فلا تسل عن حُسْنِهِنَّ وطولهنَّ، ثم يُصَلِّي ثلاثًا، قالت عائشة: فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ فقال: يا عائشة، إن عيني تنامان ولا ينام قلبي»[1].

وهذا الحديث يحكي عن هَدْيِ النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في نافلة قيام الليل عمومًا ولم يتعرَّضْ إلى صلاة التراويح؛ إذ هي قيام ليل مخصوص بشهر رمضان، وهي سنة نبوية في أصلها، عُمَرِيَّة في كيفيَّتها، بمعنى أن الأمَّة سارت على ما سَنَّه سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - من تجميع الناس على القيام في رمضان في جميع الليالي، وعلى عدد الركعات التي جمع الناس عليها على أبي بن كعب - رضي الله تعالى عنه - والنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول: «عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين، عضوا عليها بالنواجذ»[2].

إن لم يكن مستند الأمة فعل سيدنا عمر - رضي

(١) أخرجه البخاري (١/٣٨٥ ب برقم: ١٠٩٦) و (٢/٧٠٨ ب برقم: ١٩٠٩) و (٣/١٣٠٨ ب برقم: ٣٣٧٦) ط دار ابن كثير، اليمامة.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/٤٤ ب برقم: ٢٦٧٦) ط دار إحياء التراث العربي، وأخرجه ابن ماجه (١/١٦ ب برقم: ٤٢) ط دار الفكر، وأخرجه أحمد (٤/١٢٦ ب برقم: ١٧١٨٤) ط مؤسسة قرطبة.

الله تعالى عنـه ـ فلِمَ تؤدَّى التراويح في جماعة في المسـجد علـى إمـام واحـد؟! وكـأن هـؤلاء يأخذون من سنة سيدنا عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ جمع الناس على إمام طوال الشهر، وهو ما لم يفعلـه النبي ـ صلى الله عليـه وآلـه وسلم ـ ويتركون عدد الركعات ويزعمـون أنهم يُطبِّقون سنَّة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فإن كان هذا صحيحًا، وأنتم لا تلتفون لفعل سيدنا عمر ـ رضي الله تعالى عنـه ـ فيجب عليكم أن تُصَلُّوا التراويح في الست، وتتركوا الناس يطبِّقون دين الله كما ورثوه. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومما ورد فـي الآثـار الصـحيحة يُبَـيِّنُ أنَّ فِعْلَ سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ هو صلاة عشرين ركعة في تراويح رمضان، ما ثبت عن السائب بن يزيد ـ رضي الله تعالى عنـه ـ حيث قال: «كانوا يقومون على عَهْدِ عمر بن الخطاب في شـهر رمضـان بعشـرين ركعـة، قـال: وكـانوا يقرؤون بالمائتين، وكانوا يتوكنون على عصيهم في عهد عثمان بن عفان ـ رضي الله تعالى عنـه ـ من شده القيام»[1].

حتى ابن تيمية الذي يعتمده كثير من المتشدِّدين المرجعَ الوحيد في مسائلهم كان كلامـه أهْوَنَ، وأجمع للأمـة من كلامهم حيث قال: «شبه ذلك من بعض الوجوه تنازع العلماء في مقدار القيام في رمضان، فإنـه قد ثبت أن أبيٍّ بن كعب كان يقوم بالنـاس عشرين ركعـة في قيام رمضـان، ويوتر بثلاث، فرأى كثير من العلماء أن ذلك هو السنة؛ لأنه أقامه بين المهاجرين والأنصار، ولم

---

(1) أخرجه البيهقي في الكبرى (٤٩٦/٢٠ ب برقم: ٤٣٩٣) ط دار البـاز، وأخرجـه ابـن الجعـد في مسـنده (٤١٤/١ ب برقم: ٢٨٢٥) ط مؤسسة نادر.

ينكره منكر، واستحبَّ آخرون: تسعة وثلاثين ركعة؛ بناء على أنه عمل أهل المدينة القديم، وقال طائفة: قد ثبت في الصحيح عن عائشة: «أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لم يكن يزيد في رمضان ولا غيره على ثلاث عشرة ركعة»[1]، واضطرب قوم في هذا الأصل؛ لما ظنوه من معارضة الحديث الصحيح؛ لما ثبت من سنة الخلفاء الراشدين، وعمل المسلمين، والصواب أن ذلك جميعه حسن»[2].

أردت التنبيه على هذه المسألة لأمرين:

الأول: أن السنة التي ظلَّتْ بين المسلمين طوال القرون الماضية كادت أن تموت.

والثاني: حتى لا يشتدَّ المخالف في الإنكار على ما اتَّفقتْ عليه الأمَّة سلفًا وخلفًا.

* ونعود إلى الاستعداد لشهر رمضان، فالاستعداد يكون بتنظيم اليوم كما ذكرنا، وبالصوم، وبتلاوة القرآن، وبقيام الليل، ويستحبُّ أنْ يكون ذلك القيام بعد العشاء حتى يعتادَ على تراويح رمضان.

* ولا ننسَى أن نُذكِّرَ بأهَمِّ ما يُعِينُ على ذلك كله، ألا وهو ذِكْرُ الله عز وجل، وقد ورد الحَثُّ على الذِّكْر في كتاب الله وسنة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فمِنَ القرآن قوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ ﴾(البقرة : ١٥٢)، وقوله سبحانه: ﴿ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (الأحزاب : ٣٥)، وقوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٣/١ ب برقم: ١١١٧) ط ابن كثير اليمامة.

(٢) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، ج٢ ص ٢٤٩.

اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الأنفال : ٤٥)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (العنكبوت : ٤٥).

ويقول رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - في نصيحته العامة: «لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطباً مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»(١).

فبذكر الله يُعَانُ المؤمن على كُلِّ ما أرادَ أن يُقْبِلَ به على ربِّه عز وجل، ولا ننْسَى أن نؤكِّدَ على أهمِّيَّة الإعداد والاستعداد لهذا الشهر الفضيل، وأنَّ تَرْكَ هذا الإعْدَادَ يُعَدُّ مِنَ النِّفاق العَمَلِيِّ، لكن مَنْ أرادَ تحصيلَ شيءٍ استعدَّ له، ومَنْ أرادَ النجاحَ ذاكَر، فمَنْ أرادَ أنْ يَغْتَنِمَ هذا الشهرَ الفضيلَ أحْسَنَ الاستعدادَ له، ولقد ذَمَّ اللهُ أقوامًا زعموا أنهم أرادوا أمرًا ولكنهم ما أعَدُّوا له، فقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَـكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (التوبة :٤٦).

نعوذ بالله أن نكون من هؤلاء، ورزقنا الله حسن الاستعداد لاستقبال رمضان.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤٥٨/٥ ب برقم: ٣٣٧٥) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه الحاكم (٦٧٢/١ ب برقم: ١٨٢٢) ط دار الكتب العلمية، وأخرجه ابن ماجه (١٢٤٦/٢ ب برقم: ٣٧٩٣) ط دار الفكر.